جريدة العرب

الوزير والمفكر اللبناني جورج قرم لـ " العرب":

هناك توزيع أدوار بين حلفاء أميركا لتجميد النزاعات

2008-06-20
الدوحة - الحواس تقية

وزير المالية اللبناني السابق والأستاذ الجامعي جورج قرم، جمع بين الممارسة والنظر، فتوزعت كتاباته على مختلف القضايا الراهنة، منها كتاباته الموسوعية عن مفارقات النهضة، والتقلبات السياسية في المنطقة العربية، كما في كتابه «تاريخ الشرق الأوسط»، وأبحاثه في القضايا الاقتصادية كما في كتاب «التبعية» أو في مسائل الهوية والإحياء الديني كما في كتابه الضخم «المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين»، إضافة إلى كتاباته المتتالية عن لبنان والأزمات التي تضعضعه.
حاورته العرب حول التحولات التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط بعد اتفاق الدوحة.

ما حجم الدور القطري في التوصل إلى اتفاق اللبنانيين بالدوحة؟
يشعر كل لبناني مخلص وموضوعي أنَّ دولة قطر وأميرها يكنَّان للبنان محبة خاصة بعيدة عن أي مآرب سياسية أو عن أي رغبة في فرض نفسها كقوى خارجية مهيمنة على لبنان. وقد ظهر ذلك بوضوح خلال الاعتداء الغاشم لإسرائيل على لبنان في صيف 2006 حيث تصدَّت الدبلوماسية القطرية بكل قوة لما كان يُحاك ضد لبنان إقليمياً ودولياً، ثم ظهر أيضاً في زيارة سمو الأمير إلى لبنان بعد وقف العمليات الحربية واطلاعه على حاجيات المناطق المنكوبة وتقديم يد العون والمساعدة إلى لبنان دون تلكُّؤ وبشكل مباشر لكي يحصل المتضررون دون تأخير على المساعدات. على هذه الخلفية اكتسبت دولة قطر دوراً معنوياً محورياً في ولادة اتفاق الدوحة وكسر حلقة التوتر والتجاذب الإقليمي والدولي حول مصير لبنان. وأعتقد أيضاً أن بعض الدول الخليجية الأخرى والتي تم اختيارها للانضمام إلى اللجنة التي ترأستها دولة قطر إثر اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة في مايو الماضي، كانت قلقة من تفاقم الخلاف السعودي - السوري في المنطقة وانعكاساته المباشرة على الساحة اللبنانية.

ما حظوظ نجاح الاتفاق، وما المخاطر التي تتهدده؟
يأمل جميع اللبنانيين المخلصين بأن يكون اتفاق الدوحة قاعدة لمصالحة وطنية شاملة ولإبعاد التدخلات الخارجية عن الساحة اللبنانية وألا يتحوَّل الاتفاق إلى هدنة مؤقتة بانتظار أحداث وتطورات جديدة في المنطقة تعيد فتح الساحة اللبنانية لتناحر القوى الإقليمية والدولية الكبرى للسيطرة على المنطقة. ومما لا شك فيه أنَّ حالة الوهن والتراجع لسياسة المحور الأميركي - الإسرائيلي في كل من فلسطين والعراق ولبنان، خاصةً وأنَّ كِلا البلدين قد دخلا في مرحلة تحضير الانتخابات، بالإضافة إلى هبوط شعبية كل من الرئيس بوش وإيهود أولمرت إلى أدنى مستوياتها قد خلقت الظروف المؤاتية لنجاح اجتماع الدوحة. ونحن في الحقيقة الآن في مرحلة انتقالية في المنطقة ولا نعلم ماذا ستكون مواقف رئيس جديد في الولايات المتحدة ورئيس وزراء جديد في إسرائيل في حال تنحي أولمرت.

طبعاً لا يمكن تجاهل مسؤولية الفرقاء اللبنانيين في حالة اللااستقرار والأحداث الأمنية المؤلمة التي يعرفها لبنان منذ عام 2005، ومسؤوليتهم كذلك في تحول الساحة اللبنانية إلى ساحة تناحر وتجاذب بين القوى الإقليمية والدولية، خاصةً بعد التغييرات الكبيرة التي حصلت في السياسة الأميركية الخارجية تجاه الشرق الأوسط إثر هجمات سبتمبر 2001 على مدينتي نيويورك وواشنطن من قِبَل مجموعة ادعت أنها تدافع عن العرب والمسلمين بهذا العمل الشنيع. وقد اتخذت بعد ذلك السياسة الأميركية منحى خطيراً في المنطقة أدى إلى زعزعة استقرارها في العمق. وبدلاً من أن ينأى لبنان بنفسه عن المخاطر الجديدة فقد اختار البعض من الزعماء السياسيين اللبنانيين الالتحاق بالسياسة الأميركية الجديدة، خاصةً بعد الاغتيال الغاشم للرئيس الحريري. وهذا ما أدَّى إلى التفكك الذي حصل في التركيبة الحكومية اللبنانية ابتداءً من عام 2006 وأصبحت المقاومة في موقع الدفاع عن النفس داخلياً وخارجياً، خاصةً بعد هجوم إسرائيل الشرس عليها وعلى كل لبنان. وقد كان للاتفاق المعقود بين حزب الله والتيار الوطني الحر بقيادة الجنرال ميشال عون في فبراير 2006 أثر إيجابي كبير في صد الفتنة العامة في لبنان على غرار ما كان قد حصل في عام 1975 عندما وقع الصدام بين الكتائب اللبنانية وتحالف القوى اليسارية المحلية والمقاومة الفلسطينية.

هل هناك تحول في توازنات القوى داخل لبنان؟

شهدت الساحة اللبنانية إثر أحداث شهر مايو حداً أدنى من إعادة التوازن بين الموالاة والمعارضة بعد أن كانت الموالاة تصرفت بشكل دكتاتوري وإقصائي على مدى سنتي 2006 و2007، وقد أدى هذا الوضع إلى شل المؤسسات الدستورية بشكل خطير للغاية. وقد تم تكريس العودة إلى حالة دستورية طبيعية في اتفاق الدوحة.

هل هناك تحول في توازنات القوى الإقليمية والدولية كان اتفاق الدوحة محطة من محطاتها؟

يصعب الإجابة بيقين على هذا السؤال. فمما لا شك فيه أن المشاريع الأميركية الخيالية الفاقدة لأي واقعية بإعادة خلق شرق أوسط جديد قد فشلت فشلاً ذريعاً وكذلك من الواضح أنَّ المسعى الأميركي - الإسرائيلي للقضاء على أي نوع من المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق قد فشل أيضاً. غير أنَّ هناك اتجاهات ثقيلة تكرَّست في سياسات الغرب الأميركي - الأوروبي، وهي سياسة العداء لإيران والسعي الحالي إلى فصل سوريا عن إيران وهو سعي ينقصه أيضاً الواقعية. وهي تتجسَّد أيضاً في تأييد أعمى لسياسات القوة والهيمنة والاضطهاد والتوسع في الاستيطان التي تمارسها إسرائيل منذ عقود طويلة تجاه الشعب الفلسطيني، ناهيك عن اضطهاد الشعب اللبناني لاحتضانه المقاومة الفلسطينية عام 1968 واحتلال أجزاء واسعة من الجنوب على مدى 22 سنة وغزو بيروت عام 1982.

لا أعلم إذا كانت إدارة جديدة في الولايات المتحدة ستتمكن من تغيير المسار بشكل جدي أو إذا كانت ستستمر أجواء العداء للمسلمين وللعرب والتنكُّر لحق المقاومة ضد الاحتلال. وفي هذه الحالة فإنَّ الدولة الإيرانية قد ترى نفوذها يتوسع نظراً لتقصيرنا كعرب في الدفاع عن حقوقنا المشروعة في تحرير الأراضي التي احتلَّتها إسرائيل.

ما مدى الاستقطاب الطائفي بعد المواجهات المسلحة الأخيرة؟

لسوء الحظ، إنَّ تركيبة النظام السياسي اللبناني من حيث جعل الطوائف والمذاهب الدينية أساس تسيير النظام السياسي يشجِّع على جعل كل قضية سياسية دنيوية مشكلة دينية وطائفية ومذهبية مستعصية، مما يحجب الرؤية الموضوعية الواقعية السليمة لمعطيات الأزمات وهي معطيات لا تمت للدين أو للمذهب بصلة وثيقة وشاملة. والإعلام اللبناني والغربي وبعض الإعلام العربي يصوِّر أسباب الخلافات على أنَّها خلافات محض طائفية ومذهبية خلافاً للواقع المعقَّد. ومما لا

.

هل سيخسر حزب الله السند الشعبي اللبناني إذا اندلعت حرب جديدة بينه وبين إسرائيل؟ وما هي شروط واحتمالات اندلاع مواجهات جديدة بين حزب الله وإسرائيل؟

يعمل العديد من القوى على الساحة اللبنانية والإقليمية على إفقاد حزب الله لشرعيته كحركة مقاومة شعبية تدافع فعلاً عن سيادة لبنان وكرامته تجاه العدو الإسرائيلي. وهي قوى تعمل كذلك لاستدراج حزب الله في متاهات السياسة الداخلية وإنهاكه عبر أنواع مختلفة من الاستفزازات. ويبدو أنَّ هذه السياسة هي بديل عن حرب جديدة على المقاومة والقضاء على سلاحها في المدى المنظور على الأقل. في الظرف الراهن أعتقد أنَّه يمكن استبعاد قيام إسرائيل بضربة عسكرية جديدة ضد لبنان لما يمكن أن يترتَّب على ذلك من عواقب على إسرائيل نفسها كما حصل في صيف 2006 حيث شهدت إسرائيل لأول مرة في حياتها نزوح مئات الآلاف من السكان أو اختباءهم في الملاجئ على مدى 32 يوماً اتقاءً لقذائف المقاومة. هذا لا يعني أن الولايات المتحدة وإسرائيل مستقبلاً لن ترى بأن حزب الله ضعف بالشكل الكافي بسبب محاصرته داخلياً في لبنان وإرهاقه بصدامات تأخذ الطابع المذهبي كما شهدناه في الأيام الأخيرة في منطقة البقاع، وأنَّ الجيش الإسرائيلي قد أعاد تأهيل صفوفه وقدراته العسكرية بالشكل الكافي للدخول في حرب جديدة للقضاء على المقاومة اللبنانية. إنَّ إسرائيل حالياً منهكة على هذا الصعيد كما يدلّ أيضاً على ذلك فشلها في القضاء على مقاومة حماس في غزة.

هل الاتفاق مقدمة لتصالح عربي؟

يا ليت! إنَّما لسوء الحظ يلاحظ أي مؤرِّخ موضوعي بأنَّ الحكومات العربية منذ استقلالها تميل إلى الانقسام وإلى سياسة المحاور ولا نشهد أي نوع من التفكير الرصين المشترك بين القيادات العربية لضمان وحدة الصف لمجابهة التحديات الخارجية الضخمة. ولذلك لا تحظى المجموعة العربية بأي احترام في النظام الدولي وتُستباح أراضيها وخيراتها وتتعدد الحروب والنزاعات وأيضاً الفتن الداخلية. غير أنَّنا نأمل بأن تستمر دولة قطر في لعب هذا الدور البنَّاء الذي أنتج اتفاق الدوحة للوصول إلى اتفاق عربي شامل للقضاء نهائياً على سياسة المحاور بين العرب والأحلاف مع الخارج. كما أنَّ الدول العربية الكبيرة والغنية يجب أن تحترم الدول العربية الأخرى. فالفترة الحالية تذكّرني شيئاً ما بالفترة الناصرية مع استبدال الأدوار، إذ إنَّ المملكة السعودية بسبب حجمها المالي والنفطي والإسلامي تمارس إلى حدٍّ ما وفي إطار متجدد ومتغيِّر سياسات بسط النفوذ والهيمنة التي تميزت بها مصر الناصرية، مع العلم أنَّ التوجه الناصري كان توجهاً معادياً لأي نوع من الهيمنة الخارجية على المنطقة، لكنَّه أدى أيضاً إلى نفور كبير بين الأنظمة العربية.

هل يعرف الدور الفرنسي تحولاً جديداً بعد الاتفاق والاتصالات بالقيادة السورية؟

أعتقد أنَّ هناك توزيع أدوار بين حلفاء الولايات المتحدة لتجميد النزاعات مؤقتاً بعد النكسات المتتالية التي أصابت السياسة الأميركية في المنطقة، فهذه تركيا تتوسط بين إسرائيل وسوريا، ومصر بين حماس والسلطة الفلسطينية وإسرائيل، وفرنسا تعيد الحوار مع سوريا. غير أنَّ الشبح الأميركي ليس بعيداً ولا نعلم كما ذكرتُ سابقاً إذا كانت هذه المرحلة من التهدئة هي مرحلة مؤقتة إلى حين إتمام الانتخابات الأميركية واستقالة أولمرت من رئاسة الحكومة الإسرائيلية وكذلك إعادة رسم سياسيات أميركية جديدة تجاه المنطقة. وأعتقد كذلك أنَّ العامل الرئيسي الذي قد يغيِّر من مسار الانحطاط المفجِّر للمنطقة العربية هو وحدة الصف العربي والقضاء على الأنواع

.

www.alarab.com.qa